أو كثر من مائةوزن (الضروب) ولكن اين النابغة المثقف الذى يحسن التأليف والنلحين

إن بعض الملحنين ينزعون فى تلحينهم الى اختطاف الحانهم من الالحان القديمة ، ثم يخلطونها بشيء من الموسيقى الافرنجية المنحطة التى تسمعها فى افقر المقاهى الافرنجية ويظنون لسذاجتهم انهم جددوا الفن ونهضوا به ، وما دروا انهم شوهوه وفضحوه وهذا جرم كبير لايغتفر ، عيرنا به كثير من المستشرقين

كانت الموسيقى المسرحية قد خطت أول خطوة فى سبيل النجاح ، ولكن القائمين بامرها لم يحسنوا ادارتها ، وكان ينقصهم الحزم والتدبير والذوق الفنى ، فلذلك فشل المشروع فى عامه الثانى واستمرت الموسيقى المسرحية فى التمثيل الهزلى ، والحمد لله قد نشطت هذه المسارح وسارت فى سبيل الرقى لولا مايصادفها من عقبة لم تذلل وهى ندرة المطربين والمطربات الحائزين للاصوات الجميلة القوية الرنانة والثقافة الموسيقية الصحيحة

اننا معشر المصريين مقصرون فى تجميل بيوتنا وانعاشها بالفنون الجميلة حتى نسكن اليها بعد عناء العمل ، ونجد فيها من وسائل السرور والانس ما ينسينا آلامنا وينعشنا ويجدد قوانا

نجد الاسر الافرنجية تهتم بتعليم أبنائها الموسيقى ، وتعنى ربة الدار بنظام الحديقة وتنسيقها حتى تصبح جنة مصغرة ترتاح اليها النفوس المتعبة ، وفى المساء تجتمع الاسرة فتحيى حفلات موسيقية ترقص لها القلوب وتنسى فيها الهموم والآلام

أما بيوتنا التى تجردت من جميع مظاهر الجمال والانس حتى نفرت منها النفوس ولم يطق الابناء أن يطيلوا المكث فيها فينصرفون الى المفاسد من تجوالهم ومعاشرة ذوى الاخلاق الضعيفة فلا يلبثون أن تتسرب اليهم عدوى الرذائل ويضحون فى عداد الحشرات المؤذية

إن الموسيقى لغة القلوب ومهذبة الاخلاق ، ومرفقة الطباع ومبددة الهموم والاشجان ، وخير لنا أن نهتم بها فى أوقات فراغنا ونسعى فى رقيها حتى نعيد عصر زرياب واسحق الموصلى

فى حرم

الجامعة المصرية

تقع مكتبة الطالب لمنشئها ومديرها الأستاذ خطاب عطية B. A من الجامعة المصرية ، لبيع الكتب الافرنجية والعربية ، علمية وأدبية وقانونية ، وبها قسم للمجلات والأدوات الكتابية

مستقبل الانسانية

للكاتب الاجتماعى هـ . ج . ويلز H. G. Wells

تحليل وتعليق شهدى عطيه الشافعى

كان عجيبا حقا أن يتخرج ويلز فى كلية العلوم الملكية حيث الهندسة والجبر والميكانيكا ليصبح روائيا له مكانته العالمية .

وكان غريبا وهو رجل العلوم والرياضيات ان يتخطى السنين فيحلق على أجنحة الخيال ليكتب عن القمر وسكانه والمريخ وسبيل الوصول إليه . ثم يهبط الى الأرض فيوجه الى المجتمع الحديث بما فيه من نظم واوضاع قارص النقد وشديد اللوم . تثقف ويلز ثقافة علمية صحيحة ، وامعن فى القراءة لداروين وآمن بنظريته فى النشوء والارتقاء ايمانا لايتطرق اليه الشك . وتتبع محاضرات هكسلى تلميذ دارون بشغف لامزيد عليه . والتهم معظم مؤلفات سبنسر . وكان اعجابه شديدا بوليام جيمس عالم النفس المعروف والفيلسوف التجريبى .

..... ولكنه مع كل هذا كان رجل الخيال الرائع والاحلام الذهبية قبل أن يكون رجل المعضلات الحسابية والنظريات الهندسية ، وكان لابد أن يتضارب الخيال مع الواقع . وإن تتناقض الدروس التى تلقاها فى علم الكائنات الحية وغرامه بالراويات والقصص .

ولكن ويلز كان عقلية خصبة من هذه العقليات التى تهضم كل شيء حتى لتستطيع ان تمزج الخيالات والحقائق ، وتخلط التشريح والعواطف ، وتوفق بين الروح العلمية والروح الشاعرة .

ولذا تجده فى كتاباته يحيطك بشباك من حقائق علمية لايمكنك انكارها . ثم يحرك فى رفق وهوادة الى أشد ضروب الخيال اغراقا فى الخيال ، واكثرها بعداً عن العقل ، ولكن لايسعك إلا أن تسلم بما يقول وتوقن بما يكتب .

إن الانسان بكل مافيه من جمال وكل ماوهب من عقل لم يكن يوما من الأيام إلا قردا ممسوخا لاجمال فيه ولا عقل له .

هكذا كانت الصيحة التى فوجىء بها البشر من فم رجل قبيح الوجه عرفه الناس باسم دارون .

ولم يكن فى هذه الصيحة من جديد . فقد سبقه اليها العالم «لامارك» ولكن دارون زعم ان هناك سنة للحياة لامحيد عنها . وقانونا صارما لاسبيل للهروب منه : هو قانون تنازع البقاء .

فهذه الحياة تضطرب بملايين من المخلوقات تتباين فى نموها وتختلف فى تركيبها، ولكن لاتلبث الحياة ان تضيق ذرعابها فتقدر لها ان تشتبك فى قتال وحشى ، ثم لايبقى منها حيا إلا اقواها وأصلحها .

وإذا كانت القرود قدتمخض عراكها عن انسان يسود اليوم وجه الارض . فاى مخلوق جديد سيكشف لنا عنه الغد ! تساؤل تملك ويلز تملكا قويا وكان محوره : والى اين هذه الانسانية ؟ وأى فئة من البشر مقدر لها البقاء ؟ وأيها محكوم عليه بالفناء ؟

ولقد زعم ويلز انه مستطيع ان يهتك اللثام عن وجه هذا الغد المجهول فيصور لنا تصويرا دقيقا رجل المستقبل ، جسمه وعقله ونفسيته والمجتمع الذى يعيش فيه !

ولكنه كان فى كتابته حذرا . فهو يستند دائما الى الحقائق الثابتة، ويسترشد بماضى التطور الانسانى، ويعتمد على مجريات الحوادث . مما رفع به إلى مصاف كبار المفكرين . وجعل لرواياته الشيقة صبغة علمية محترمة .

فتراه يدرس الماضى ويحاول ان يستشف منه المستقبل ، يستنتجه استنتاجا ومقدماته فى ذلك فروض علمية صحيحة .

واليك مثلا هذه المحاولة الكبرى من جانب الانسان فى سبيل التحرر من قيود الطبيعة . فها هو قدفك عن نفسه الثقل الذى يربطه الى سطح الأرض فارتفع فى الهواء . وهاهو قدتغلب على مضطرب الامواج، فامتطى البحار، وعلى صعب الأرض فشق فى جوفه المسالك والطرقات .

واذن فمن الطبيعى ان يستمر تطوره فى هذه الناحية قويا . فهو لابد يوما متخلص تخلصاً تاما من جاذبية الأرض ليصعد إلى القمر وليسبح منه الى المريخ وليهبط منه إلى زحل !

ومادام الانسان قد استغل بعض عناصر الطبيعة من كهرباء وبخار فسخرها فى إدارة آلاته وتسيير قاطراته، فليس عجيباً الا يدع عنصراً الا استخدمه غير تارك فى ذلك موج بحر أو نور شمس أو حرارة فى جوف أرض .

وما دام البشر قد تغلبوا على بعد الشقة وطول المكان بما أوجدوه من سريع الطيارات، فليس بعيدا أن يخترعوا آلة يتحكمون بها فى الزمان . ماضيه ومستقبله .

فلا يرتبط رجل الغد بزمان أو مكان . قد يكون فى شرق الأرض ، فاذا به فى غربها . قد يكون فى السنة الحاضرة فاذا به قد تركها ليعيش فى الماضى السحيق أو المستقبل البعيد .

ولن يرضيه وقدتخلص من قيود الطبيعة أن يستمر أسيراً لاغلال الجسد . فهو يركب غذاء يتمكن به أن يكون له من الجسم جباره ومن العضلات مفتولها ، فلا يصيبه وهن ولا تعتوره شيخوخة .

وهو يتقدم الطب ، وبقليل أو كثير من الرياضة يستطيع أن يتحكم فى أعضاء جسمه . فلا يبقى منها على عضو لا فائدة فيه ، ولا يدع عضواً نافعاً إلا قواه . فمعدته التى تجر عليه أمراضا يحتاج لعلاجها الى ألف طبيب وطبيب، لابد متخلص منها إلى معدة صناعية تقوم بوظيفة الهضم أحسن قيام ! وأنفه هذا الذى كثيراً ما يصيبه بالزكام يجب أن يستبدل به أنفا حديديا لايتطرق اليه برد ولاتنزف منه دماء !

وهو قد يضايقه الخضوع للنظام الجنسى فتلهمه عبقريته طريقة للتناسل عن طريق غير طريق المرأة فلا يحتاج اليها ولاتحتاج اليه.

وطبيعى بعد هذا أن تختفى لديه تلك العواطف الرقيقة من حب وشفقة وحنو . فهى كلها مظهر ضعف لا يليق به ، وهو لن يعترف إلا بالعقل يدين له وبالمادة يؤمن بها . وبالقوة يخضع لها أو يناجزها .

سيكون إنسانا جباراً بكل معنى الجبروت ، عظيم الخلقة ، شديد الذكاء ، قوى الارادة ، لا عواطف له ولا قلب . ثم لامكان له ولا زمان . لايعرف النوم، ولا يفهم الكلال، ولا يصيبه المرض(١) !

ثم ينتقل بك ويلز الى رسم لا يقل غرابة لحالة المجتمع الذى يمكن أن يعيش فيه البشر غدا .

ولكنه يتأثر فى هذا بآراء ماركس . وماركس هو هذا الألمانى الذى زعم أن المال يتجمع فى أيدى أفراد قلائل يتمتعون بأطايب العيش، بينما هناك ملايين من العمال محرومون لا يكادون يجدون ما يتبلغون به . ثم تنبأ بثورة هائلة تقوم بها الغالبية الساحقة من الطبقات الفقيرة يذبحون فيها الاقلية الضئيلة من أصحاب رءوس الأموال .

وبذا يسدل الستار عن مأساة كبرى قدتكون خاتمة الحياة الانسانيه أو بدء حياة جديدة هانئة سعيدة .

---

(١) قديدلك الاطلاع فى هذه الناحيه فعليك بالرجوع الى كتب ويلز الكثيرة نذكر منها :

The war of the worlds	حرب العوالم
The time machine	آلة استكشاف الزمان
The invisible man	الانسان الخفى
The first men in the moon	أول الرجال فى القمر
The food of gods	طعام الآلهـــة
The war in thr air	الحرب فى الهواء

وقد كان لهذه النظرية أثر عميق فى كتابات ويلز عن مجتمع المستقبل. إلا أنه ذهب شوطاً أبعد، فزعم أن الفروق بين العمال وأصحاب رءوس الأموال ستتسع فلا تقتصر على نوع المعيشة بل سيتناول الجسم العقل فينقسم البشر طائفتين متنابذتين متفاوتتين. طائفة قوية جبارة تسمو إلى أكثر ما يمكن أن يسموا إليه إنسان، فتكون نوعاً بذاته له مميزاته. ثم طائفة أخرى تنحط إلى أقصى حدود الانسانية. مكانها تحت الأرض. وعملها آلة تديرها، ويكون من نتيجة المعيشة التى تعيشها أن يتكيف عقلها فيصبح قاصراً محدوداً ويشوه جسمها فلا يصير قادراً إلا على حركة واحدة يأتيها.

ويشتد هذا الاختلاف وضوحا. ويقوى هذا التباين ظهوراً، حتى تختفى أوجه الشبه بين الفريقين فلا تمازج بينهما ولا تزاوج ولا عاطفة هناك ولا علاقة. اللهم إلا تحكم قوى فى ضعيف.

وهنا يتردد ويلز كثيراً. فهو لا يملك الا أن يتساءل. أهذا هو الفصل الأخير من رواية الانسانية؟ أم ذلك بداءة لثورة يثورها سكان ماتحت الأرض يحاولون فيها تخلصاً من ربقة العبودية الثقيلة؟

ويتحدث ويلز عن هذه الثورة ولكنه يتهرب من التكهن بنتيجتها الحاسمة، فهو فى شك وأنت تعجب لهذا الشك. فكيف يمكن لقوم قد هزلت أجسامهم وضعفت عقولهم أن يصمدوا لطائفة لها من العقل أرقاه ومن الجسم أقواه؟

ولكن ويلز يعود فيعطيك صورة أخرى لهؤلاء الجبابرة من رجال الغد. فهم بعد أن استكشفوا مافى السموات والأرض وبعد أن تسنموا الرقى حتى قمته لا يجدون ثمة عملا يعملونه، أو معضلة يفكرون فيها، أو شاغلا يصرفون فيه ذكاءهم، فيلجأون الى الرفاهية والتهتك ينهلون منها الكأس حتى الثمالة. والى الترف والخلاعة ينسون بها ما قد يلحقهم من سأم قتال، فتخبو ملكاتهم وتضعف قواهم وتحل عظمتهم.

ولا شك أن حرباً تقوم بينهم وبين عمال الأرض السفلى هى حرب سجال!

***

لا يسعك وأنت تقرأ لويلز إلا أن تنسى نفسك فتتحمس اذا ما تحمس وتضحك معه اذا ما ضحك، وتتشاءم لتشاؤمه. وينسيك اعجابك بالقصة وبغرابة أفكارها وروعة خيالها. ينسيك موطن الضعف من ويلز.

فهذه الصور التى صورها عن التطور البشرى صور مغرية فيها بعض الحق وناحية من الصواب، ولكنه ليس كل الحق ولا معظم الصواب.

فهو قد تجاهل عاملا هاما له أثره الخطير. تجاهل هذا التوازن الدقيق الذى نشاهده فى قوى الطبيعة. فلا يرتفع جزء من الارض إلا انخفض جزء، ولا يهدم بناء الا وقام بناء ولا يتشقق صخر إلا التأم آخر.

وهكذا لا يمكن أن يقوى العقل الانسانى إلا على حساب الجسم ولا تتاح للعضلات أن تضخم الا إذا فقد العقل بعض قوته. وهذه الصورة التى أعطاها ويلز عن انسان الغد مبالغ فيها اذ يختل فيها التوازن اختلالا واضحا.

فهاهو الانسان انسان منذ العصور التاريخية وليس هناك من يزعم أن مقدرة العقل الانسانى أو قوة جسمه قد زادت زيادة تسمح لويلز أن ينسب لرجل الاجيال القادمة قوة عقل خارقة يصحبها قوة جسدية لا حد لها.

وهذا التوازن ينساه مرة أخرى فى الصور التى يبدعها عن مجتمع الغد. فنظرية ماركس القائلة بأن الثروة مصيرها الى التجمع فى أيدى نفر قليل، والتى أخذ بها ويلز نظرية لا يتاح لها أن تتحقق. فالثروات اليوم تتجه إلى التوازن، وعامل اليوم يساهم فى الشركات التى تقوم عليها الأمور. والمال يتبدد ويتوزع بين الأفراد، والأزمات المتلاحقة تهد من كيان بيوت المال الضخمة، ومن كبار الأغنياء أكثر مما تقلل ثروة الفقير أو العامل الأجير.

لذلك نأبى تصديق ويلز فيما ذهب اليه من أن الانسانية قد تنقسم طائفتين متباينتين. بل نرى عكس ذلك، فالعامل فى رقى عقلى يساعده مايجد من ساعات فراغ كان لا يجدها بالأمس، ويعاونه اتساع مجال الثقافة وانتشار التعليم انتشارا سريعا.

ثم ان الفروق الاجتماعية فى طريقها الى الزوال، فالكل قد تساووا اليوم فى الحقوق والواجبات، والكل قد يتساوون غداً فى العلم والثروة ونظام الطبقات الذى كان يضع فواصل من حديد بين الشريف والحقير هو فى سبيله الى الانهيار ان لم يكن قد أنهار منذ زمان

ثم شىء آخر نوافق عليه ويلز ونخالفه فيه، نوافقه على ما يكتبه من تطور الانسان الآلى وتقدمه فى اخضاع عناصر الطبيعة. ولكننا نخالفه فى أن هذا التطور قد يتجه بالانسان الى ناحية مادية لا يخضع فيها الى قانون ولا يؤمن بدين ولا يعترف بخالق. ان ناسا كهؤلاء لا يستطيعون مكثا فى الأرض ولا مضيا. فهم بماديتهم وجشعهم واسفافهم الخلقى لابد متقاتلون، متناجزون، فلا يبقى فرد منهم فردا.

ولا تحسب أن هذه الملايين من السنين التى مضت على تاريخ البشرية ستنتهى الى مخلوقات ويلز البشعة. فنحن نؤمن أن الطبيعة التى طورت القرد الى انسان حسن التكوين، متناسق الصورة قوى

شخصية . . .

« لقد سئمت أن أكون على الدوام رجلا عاقلا »
« أوليفر جولد سميث »

يتكلف الصدق فى ابريل ليصدقه الناس حين يكذبون العالم بأجمعه ؛ ثم يطلق نفسه على سجيتها باقى شهور السنة ، فيكذبه الناس حين يصدقون العالم بأجمعه .

وهو يحاول قدر طاقته أن يصوغ حقائقه المكذوبة صياغة صادقة ، ولكن مقدرته الفنية على ذلك ليست كبيرة وإن كانت فى نظره ، ومن غير تصريح ، عظيمة بالغة ! !

وأؤكد أنه لو شك يوماً فى مقدرته على سبك الأكاذيب ، لخجل ، وكف ، واتزن .

ولكنه لأمر ما ، غريزى ولا شك ، يكذب دون أن يشعر أنه يكذب حقا ، أو هو يتصور من فرط عنايته بالصياغة أنه يصدق حين يتكلم اليك . أستطيع أن أفهم هذا من أنه يتألم إذا اتهمته بالكذب ، ويغضب لكرامته غضب من يروى لك خبراً صادقاً وأنت تشك فى روايته .

وهو يواجه الناس بمقدرة عظيمة على دفع اتهامهم اياه ، وينبرى لهم ليرد عن نفسه سيل الانتقاد الجارف . وهو بارع فى مواجهته لأكثر من شخص فى الوقت الواحد .

وهو إذ يروى لك رواية ، يهذبها قبل أن يلقيها اليك بقدر ما تسمح مقدرته على التهذيب ؛ ثم هو يعود فيتدارك ما قد يكون فيها من تنافر وتضارب مع بعض الحقائق التى قد تسارع الى رأس سامعه ، فينتظر ريثما يفهم نوع استقبالك لحديثه واستساغتك له ، فاذا لم يكن بد من الاستدراك ، سارع الى الاعتذار بقوله : « إننى لم أحسن التعبير » ثم يروح يفكر ، ويفكر ، ويزيد على الاعتذار السابق قوله : « إننى أقصد بالضبط أن أقول كذا وكذا »

وأنت مضطر الى أن تقبل الاعتذار عن ضعف التعبير أولا ، ثم عن ترقيع الرواية ثانياً ، لأنه صديقك ، وللصداقة حقها . ثم لسبب آخر غير الصداقة إذا كنت ممن يرون الحياة ثقيلة إذا ظلت دائبة على الصدق ، وتحرى الحقيقة . . ففى الكذب متسع عظيم للخيال الشارد والخيال المتزن ، وفى الصدق تحقيق وتدقيق ، وأخذ بأسباب الحقيقة ، والحقيقة لا تتعدد ، وصاحبنا من أنصار التنويع والتعدد ، فهو بما يخترع من الروايات ، وما يلفق من الأحاديث ، ينتقل بك من الجد الثقيل على النفس إلى جد آخر ، من صنعته هو ! بلغ فيه عنده حد الابداع فى السبك وحسن الأداء ؛ فاذا ضيقت عليه المسالك ، وأخذته من كل ناحية ، وأعملت المنطق فى قضاياه ، وسلطت الحقيقة المرة على خياله الحلو ، انحسرت عن صاحبنا كل مسعفة من حسن الأداة وبراعة الحبك ، وتخلت عنه فجأة شياطين الأكاذيب التى اعتادت أن تواتيه بالهام كلما استلهمها ، وفزع اليها .

والحق أن تلك الشياطين كانت أطوع له من بنانه ، فلم تكن تشعر أن هناك فترة تمضى بين ضراعته اليها فى أحرج مواقفه وبين استجابتها لضراعته ، حتى لتكاد تعتقد أنها كانت تلازمه أينما ارتحل ، متحفزة لكل نداء ، متأهبة لكل تلبية .

وإن أعجب من شىء ، فليس ببالغ عجبى من هؤلاء العباقر ، ومن اجتماعها على خدمة هذا الرأس الصغير المستدير ، ومن

الشعور ، طبيعة فنانة ذكية عاقلة ! وليست هى مجموعة من المصادفات الهوجاء .

ونحن نظن أن الانسانية التى كانت تسير على غير هدى بالأمس قد أصبحت اليوم شاعرة عاقلة تحس نفسها وتتساءل عن مصيرها ، ولقد شارفت الأفول شمس هذا اليوم الذى كان يسير الناس فيه عميا لا يبصرون ، ويخضعون ويتألمون ولا يدرون ، لماذا يتألمون . وسيغرب هذا اليوم ليشرق غد عن انسانية أكثر استنارة ، وأقل حيوانية وانزع الى الكمال ، وأعرف بمواطن الضعف وبطرق العلاج .

هذا ما يحملنا على الاعتقاد بأن هذه الناحية من كتابات ويلز الاجتماعى ليست بالناحية الخالدة وان كانت هذه الناحية هى التى برز فيها واشتهر باتقانها .

لقد طرق ويلز موضوعا آخر أبدع فى علاجه ابداعا لاشك أنه رافع اسمه الى الخلود .

وهذا ما قد يحدونا الى الكتابة عنه مرة أخرى ؟

شهدى عطيه الشافعى
بكالوريوس آداب